



# في رحاب التّوراة

دراساتٌ وحواراتٌ روحانية معمقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع  
الحاخام جوناثان سакс

Jonathan Sacks  
THE RABBI SACKS LEGACY

ننقدم إلى عائلة شيل بجزيل الشكر والعرفان على دعمهم السخي لكتاب "في رحاب التوراة" (Covenant and Conversation)، وهندي هذا الكتاب لذكرى الحاخام الراحل هاري (حaim) شيل طبّب الله ذكره.

"لقد عشقت تعاليم التوراة التي قدمها الحاخام حايم شيل منذ اللحظة الأولى لاظافري عليها، خاصة وأنه عمل جاهداً على لا تطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمق في علاقتها بالحقائق الموجودة وراءها، وبرقة زوجته آنا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أسس الحاخام حايم حياماً مكرسة لحبّ العائلة والمجتمع والتوراة، فكانا يَؤْجِنُ مُمْتَزِّينَ ومُمَتَّلِّينَ يُعْتَدَّ به بكل ما تحمله الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عمق الأثر على..." - الحاخام جوناثان سакс

With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah. An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

**رئيه** هو النصّ الأسبوعي الرابع من كتاب "دفاريم" (أي سفر التثنية). يبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية السادسة والعشرين من المقطع الحادي عشر وينتهي بالآية السابعة عشرة من المقطع السادس عشر.

## التأثير العميق للفرح

قام المؤرخ وكاتب اليوميات الإنجليزي المعروف صموئيل بيبس بزيارة إلى الكنيس الإسباني البرتغالي في منطقة كرينتشيرتش بمدينة لندن بتاريخ الرابع عشر من تشرين الثاني/أكتوبر عام 1663م. وبالعودة إلى تاريخ اليهود في إنجلترا فقد تم نفيهم وطردهم منها سنة 1290م، لكن بعد مبادرة توسيط بها الحاخام منشيه بن يسرائيل من أمستردام، أصدر القائد العسكري والسياسي الإنجليزي البارز أوليفر كرومويل بياناً ووضّح فيه حقيقة عدم وجود أي مانع قانوني يحول دون إقامة اليهود في إنجلترا، وكان هذا عام 1656م. وبالتالي صار بإمكان اليهود لأول مرة منذ القرن الثالث عشر للميلاد أن يمارسوا حرية العبادة على الملا.

وكان هذا الكنيس الذي زاره صموئيل بيبس هو أول كنيس أقيم هناك، فكان في بداية الأمر متلاًّ تعود ملكيته لتجر كير من يهود البرتغال ويدعى أنطونيو فرنانديز كارفالخال، ثم تمت توسيعه لاحقاً ليستوعب المصلين القادمين للصلاة فيه. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها صموئيل بيبس هذا الكنيس، إذ زاره في المرة الأولى أثناء تأدية عدد من الأدعية والصلوات في ذكرى رحيل أنطونيو كارفالخال الذي توفي سنة 1659م، معنى أن زيارته للكنيس كانت في أجواء حزينة كثيبة تتناسب مع هذا الحدثحزين. لكن ما رأه خلال زيارته الثانية لهذا الكنيس كان مختلفاً كلياً، فكان مشهداً احتفاليًّا جعله يُصاب بحالة من الذهول مما رأه، وهذا ما كتبه في يومياته تعقيباً على هذا المشهد:

...وبعد العشاء توجهت برفقة زوجتي إلى الكنيس اليهودي بعد أن نصّحنا السيد رولنسون بذلك. وهناكرأينا الرجال والأولاد يرتدون أردية الصلاة ("تليتوت" باللغة العبرية)، فيما النساء يتواجدن في جهة أخرى خلف حاجزٍ مُشبّك. وكانت هناك بعض الأشياء الموضوعة في الأعلى والتي أعتقدُ بأن منها كتابهم المقدس الذي كان موضوعاً في صندوق (أرون باللغة العبرية) يقف الجميع أمامه وينحنى. وبينما كانوا يلبسون أردية الصلاة كانوا يرددون عباراتٍ يردّ عليهم من يسمعها قائلين آمين ثم يقبلون رداءه الخاص بالصلاحة. وكانوا يؤدون طقوسهم بأسلوب غنائي وباللغة العبرية، ثم كان أربع أو خمس رجال ينتشلون الكتاب من الصندوق وي Mizrohونه بين بعضهم من شخصٍ آخر. ولم أستطع أن أحدد إذا ما كان جميع الرجال يرغبون فعلًا بحمل هذا الكتاب أم لا، لكنهم كانوا يحملونه ويطوفون به في أرجاء المكان وهم يُنشدون وينغنون.. يا إلهي! ما هذا المشهد الفوضوي الذي يمأده الضحك والمرح والتشتت! إن حالة الخبل والفووضى هذه تجعلهم يبدون وكأنهم مجموعة من البرابرة الهمج، لا كجماعة تعبد إله الحقيقى. ولو رأى أي شخصٍ هذا المشهد لقال بأنه لم ير أي شيء مماثل لهذا في حياته أبداً، وبالفعل لم أر في حياتي شيئاً كهذا، ولم أتخيل حتى وجود دين أو معتقدٍ في العالم تمارسُ طقوسه الدينية بهذا القدر من السخافة.

في الحقيقة، لم يُقل أحدٌ لصموئيل المسكين بأنه اختار أن يزور الكنيس أثناء مناسبة دينية يهودية تُعرف باسم "سمحات توراه" (أي فرحة التوراة)\*، وهو بالفعل لم يَر في حياته بيت عبادة تطغى عليه ملامح الفرحة العارمة مثلما رأى اليهود وهم يرقصون حاملين لفائف التوراة، وكانَ هذا العالم هو حفل زفافٍ وكتاب التوراة هو العروس التي ننسى أنفسنا ونحن نرقص معها، تماماً كما فعل الملك دايفيد/داوود عندما أحضر تابوت العهد إلى أورشليم القدس.

إن الفرحة ليست الكلمة التي تخطر ببالنا بديهيًا حين نُفكِّر في جدية وصرامة الديانة اليهودية كمنظومة أخلاقية، أو حينما نستذكِّر الصفحات المليئة بالدموع والحزن من كتاب التاريخ اليهودي. إننا كيهود نمتلك مرتبة في الماسى، وشهادات علية في الذنوب، ومداليل ذهبية في عالم النواح والعوائل، وإن أفضل تعبير عن حال الأعياد والمناسبات في الديانة اليهودية هو ما لخصه أحد الأشخاص بثلاث عبارات فقط: "لقد حاولوا قتلنا، لكننا نجونا بأعجوبة، فهيا بنا نأكل!".

لكن هنالك فرحة عارمة ونقية تُشعَّ من قدرٍ كبيرٍ من أجزاء سفر المزمams، كما أن الفرحة تعتبر أحد الكلمات الرئيسية في سفر التثنية، والجذر "س.م.ح" (معنى فرح) مذكور مرّةً في سفر التكوين، ومرةً في سفر الخروج، ومرةً في سفر اللاويين، ومرةً في سفر العدد، وأثنى عشر مرّةً في سفر التثنية، سبع منها ذُكرت في هذا النصّ الأسبوعي من نصوص التوراة. وما أكَّد عليه النبي الله ورسوله موسى موسى مراراً وتكراراً هو أنه ينبغي علينا أن نفرح في أرض إسرائيل، فهي الأرض التي منحتنا إياها الله عزوجل، وهي المكان الذي تقع فيه أحداث القصة اليهودية منذ عهد آبراهام وإبراهيم وسارة. فهذا الكون الشاسِع بمجراه ونجومه التي لا تُحصى هي عملٌ في الله عزوجل، وفي ثناياها يوجد كوكب الأرض الذي يحوي في ثناياه أرض إسرائيل والمدينة المقدسة أورشليم القدس. وفي هذه البقعة بالذات يكون الله أقرب ما يكون، وحضوره مُمتدٌ في الأثير، حيث السماء تُعبر عن رُزقة السموات الغلى، والحجارة تُعبر عن ذهبية عرشه. وهي الأرض التي قال عنها موسى: "الموضع الذي يختاره الله ربكم.. ليحل اسمه (أو نوره) فيه، والتمسوا مسكنه" تبعاً لما تذكره الآية الخامسة من المقطع الثاني عشر من سفر التثنية، فهي الأرض التي ستحتفى بها بالمحبة بين جماعة صغيرة من البشر (التي لم تكن لتحقق بأي أهمية لو لم يختارها الله)، وبين الله الذي اختارهم شعباً له ورَقَّعُهم إلى مراتب العظمة.

ومثلكما أخبر موسى بنى إسرائيل، فإن الرواية المعقّدة للتاريخ اليهودي بأكملها ستكون جلية واضحة فوق هذه الأرض، مثلكما تُخبرنا الآية الثانية عشرة من المقطع الثاني عشر من سفر التثنية: "أنتُ وبنوك وبناتك وعيديكم واماوكُم واللاويُّ الذي في محالكم إذ ليسَ له نصيبٌ ونحلةٌ معكم"، بمعنى آخر: سيُفرجُ الشعبُ بأكمله، فيُنshedون سوياً ويُعبدون الله عزوجل سوياً، ويختلفون بالأعياد والمناسبات الدينية سوياً، مُدركين بأن التاريخ لا يتمركز حول الإمبراطوريات والغزو مثلكما لا تتمركز المجتمعات حول التراطبية والنفوذ والسلطة، وبأن الحكم والحاكم والمحكوم والعربي (ويُشار إليهم كذلك بعبارة "ישראל" ، راجع الملاحظة الهامشية)\*\* والكافهُن جميعهم سواسية في نظر الله عزوجل. وبأنهم جميعاً أصواتٌ تُنسِدُ في جوهره الدينية، وجميعهم يرقصون في دواائر مركزها الضياء الإلهي المنير. وهذا هو تحديداً الأساس الذي يقوم عليه العهُد مع الله: تغيير ظروف البشر من خلال ما أطلق عليه الشاعر الإنجليزي وليام ووردزورث "التأثيرُ العميقُ للفرح".<sup>1</sup>

وعلى حد تعبير أرسطو فإن السعادة (*eudaimonia* باللغة اليونانية) هي الغاية المطلقة للوجود الإنساني. فنحن نرغب في الكثير من الأمور، لكننا نرغبهَا كوسيلة لتحقيق أمرٍ آخر في العادة.

\* ملاحظة توضيحية من المترجم: سمحات توراه أو فرحة التوراه هي مناسبة دينية يهودية تحل في اليوم التالي لآخر يوم من عيد العرش أو عيد المظلات، وتحل في اليوم الذي يُتم فيه اليهود قراءة التوراة كاملة فيفرون لذلك، ومن هنا جاءت التسمية.

\*\* ملاحظة توضيحية من المترجم: ينقسم الشعب اليهودي إلى سبط الكهنة المنحدرين من نسل أهaron الكاهن، واللاويين المنحدرين من نسل اللاويين الذين كانوا يساعدون الكهنة في عبادة الله بالهيكل، أما الباقى من الشعب فكان يُشار إليهم بعبارة "ישראל" ، أي العامة من الناس الذين لا ينتمون للكهنة ولا للاويين. يظل هذا التقسيم مهمّاً في الطقوس الدينية بالكنيسة إلى هذه اللحظة.

في حين يوجدُ أمرٌ واحدٌ يُعتبرُ الغاية بحد ذاتها: إنَّ السعادة.<sup>2</sup> وهنالك عاطفةٌ مماثلة في الديانة اليهودية، فالكلمة المستخدمة في التناخ لوصف السعادة "أشري" (أي طوبي) هي أول كلمةٍ في سفر المزامير، وهي كلمة رئيسية في صلواتنا اليهودية، لكن بمعزل عن هذه السياقات نجدُ أن التناخ \*يتحدثُ عن الـ "سمحاه" (أي الفرج).

والفرح والسعادة هُما أمران مُختلفان عن بعضهما البعض، فالسعادة شعورٌ بمقدورك أن تشعر به لوحرك، لكن الفرج - في التناخ - هو شعورٌ تشاركهُ مع الآخرين. فعلى سبيل المثال، يذكر سفر المزامير في الآية الخامسة من المقطع الرابع والعشرين كيف ينبغي على الزوج في السنة الأولى من الزواج أن "يكونَ فارغاً لبيته سنة واحدة، ويُفرج زوجته التي اتخدَها". وبحسب ما تذكر الآية الحادية عشرة من المقطع السادس والعشرين فإن إحضار باكوره الفواكه إلى الهيكل يؤدي إلى التالي: "افرح بكلِّ الخير الذي رزقك الله ربُك، أنت وأُلُوكُ واللاوي والغريبُ الذي في محالك". وفي أحد أكثر الآيات استثنائية في التوراة يُبيّن لنا موسى كيف أن النقم واللعنة ستحلّ، لكن هذا لن يكون بسبب عبادة الأوثان أو بسبب التخلّي عن عبادة الله، بل لهذا السبب: "ما لم تعبد الله ربُك بفرح وجودة قلبٍ" بحسب ما تذكر الآية السابعة والأربعون من المقطع الثامن والعشرين من سفر التثنية. وبالتالي فإن فشلنا في الوصول إلى حالة من الفرج هو العلامة الأولى على وجود حالة من الصدّع والانحدار.

كما توجد فروقٌ أخرى بين السعادة والفرح، فالسعادة تدورُ حول فترةٍ طويلةٍ في الحياة، في حين يرتبط الفرج باللحظة الحالية. كما أن السعادة تبدو كعاطفة باردة هادئة، في حين أن الفرج يجعلك ترغبُ في الرقص والغناء. ويصعبُ على المرء أن يكون سعيداً وسط حالةٍ من الشك واللايقين، في حين بمقدوره أن يكون فرحاً في خضم ذلك. وفي هذا السياق أستذكر الملك دافيد/داوود الذي تحدثَ في سفر المزامير عن الخطر والخوف والكابة بل وفي بعض الأحيان حالة الإحباط، لكن أناشيده كانت تنتهي عادة بنمط إيجابيٍ ومتفائلٍ مثلما نجد في الآيات 6-13 من المقطع الثلاثين:

"لأنَّ غضبةَ للحظةِ، وحياةً في رضاه  
عندَ المساءِ يبيثُ البكاءً، وفي الصباحِ ترنُّ..  
حولَتْ نواديَ إلى رقصٍ حللتْ مسحٍ وكسوتني فرحاً  
لكي تترنُّ لكَ روحي ولا تسكتْ، يا ربَ يا إلهي، إلى الأبدِ أحَمَدُكَ."

بالتالي فإنَّ الفرج يُمثل عاطفةٍ يهوديةٍ مطلقة، ففيها نجدُ أنفسنا في عالمٍ يملؤُهُ الجمال، وكلَّ نفسٍ نتنفسُهُ هو روح الله الكامنةُ بداخلنا، وتُحيطُ بنا محبتهُ التي تحرّكُ الشمس والنجموم. إننا موجودونَ هنا لأنَّ الله أرادَ لنا أن نكونَ هنا، والروح التي تحتفي بالأشياء هي التي تُشدُّ وتنجذبُ فرحاً.

في الوقت نفسه فإنَّ الحياة مليئة بالأتراح والمسؤوليات والمشاكل والآلام، لكنَّ أسفَلَ هذا كله يوجُدُ ما هو مُعجزٌ في وجودنا هنا في هذا الكون المليء بالجمال، وبين البشر الذين يحملون بين ثيابهم شيئاً من "صورة الله عز وجل". وفي هذا السياق يقولُ الشاعر والروائي الأسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون: "أبحثُ عن المكان الذي تقيمُ به فرحتك، وامنحها صوتاً بعيداً أبعدَ من حدود الغاء. فحين تفقدُ الفرحة فإنك ست فقد كل شيء".<sup>3</sup>

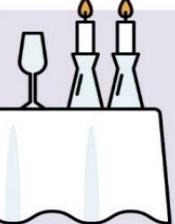
\*ملحوظة توضيحية من المترجم: التناخ هي الكلمة تختصر الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نفيئيم، كتوفيم" (أي التوراة والأنبياء والكتابات)، وينقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوبين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سفر يوشع، وسفر القضاة وسفر صموئيل الأول والثانى وسفر الملوك الأول والثانى وسفر إشعيا وسفر إرميا وسفر حزقيال، وسفر إثني عشر الأنبياء الاثنى عشر الآخر). وبإضافة لها أسفار الكتابات، والتي تضمّ الهاغيغرافيا، أي كتب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر أیوب، وسفر روث (راعون)، وسفر نشيد الإنجاد، وسفر الجامعة، وسفر مرانی إرميا، وسفر أستير، وسفر دانيال، وسفر عزرا ونحми، والجزء الأخير من التناخ يضم أسفار تدوين التاريخ. وبالتالي يضم التناخ بين ثانية أربعة وعشرين سفراً (كتاباً).

وفي الديانة اليهودية فإن الإيمان ليس عدواً للعلم أو لأي محاولة لتفسير هذا الكون، بل هي حالة من الذهول والتعجب التي ولدت في رحم الشعور بالشك والعرفان. إنها تتعلق بالتشبّث بالحياة حتى نصنع بركة منها، وكان الله عزّ وجلّ يخاطبنا قائلاً: لقد صنعتْ هذا جميـعـهـ منـ أـجـلـكـمـ، وـهـذـهـ هـبـتـيـ لـكـمـ، فـاسـتـمـتـعـوـ بـهـاـ وـسـاعـدـوـ الآـخـرـيـنـ عـلـىـ الـاستـمـتـاعـ بـهـاـ أـيـضـاـ، وـسـاعـدـوـ فـيـ شـفـاءـ آـلـاـمـ الغـيـرـ بـقـدـرـ ماـ اـسـتـطـعـتـمـ، تـلـكـ الـآـلـاـمـ الـتـيـ قـدـ يـسـبـبـهـاـ النـاسـ لـعـضـهـمـ الـبعـضـ أوـ تـلـكـ الـتـيـ هـيـ نـتـاجـ لـآـلـافـ الـأـسـبـابـ وـالـعـلـلـ الطـبـيـعـيـةـ الـتـيـ يـتـعـرـضـونـ لـهـاـ، ذـلـكـ لـأـنـ الـأـلـمـ وـالـحـزـنـ وـالـخـوـفـ وـالـغـضـبـ وـالـغـيـرـةـ وـالـحـقـدـ جـمـيـعـهـاـ مشـاعـرـ تـعـمـيـ الـعـيـونـ وـتـفـصـلـ بـيـنـ الـإـنـسـانـ وـبـقـيـةـ الـبـشـرـ، وـبـيـنـ الـإـنـسـانـ وـبـيـنـ (ـأـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ).

وهـنـاـ يـوـضـعـ الفـيـلـيـسـوـفـ الدـنـمـارـيـ سـوـرـيـنـ كـيـرـكـغـورـ فـيـ كـتـابـاتـهـ قـائـلاـ: "يـتـطـلـبـ الـحـزـنـ مـنـ إـلـنـسـانـ أـنـ يـتـحـلـ بـالـجـرـأـةـ الـأـخـلـاقـيـةـ، لـكـنـ الـفـرـحـ يـتـطـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـتـحـلـ بـالـجـرـأـةـ الـدـيـنـيـةـ"<sup>4</sup>، وـهـذـهـ فـكـرـةـ أـوـمـنـ بـهـاـ أـنـ شـخـصـيـاـ مـنـ أـعـمـاـقـ قـلـبـيـ، لـهـذـاـ فـإـنـ أـتـأـثـرـ جـداـ حـيـنـ أـرـىـ الـيـهـودـ وـهـمـ يـنـظـرـوـنـ لـلـفـرـحـ عـلـىـ أـنـهـ قـيـمـةـ دـيـنـيـةـ عـلـيـاـ بـالـرـغـمـ مـنـ مـعـرـفـتـهـمـ حـقـ الـمـعـرـفـةـ مـعـنـ أـنـ يـسـيرـ الـمـرـءـ فـيـ وـادـيـ ظـلـ الـمـوـتـ (ـهـذـاـ الـوـصـفـ الـمـذـكـورـ فـيـ الـمـقـطـعـ الـثـالـثـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ سـفـرـ الـمـزمـيرـ).

إـنـاـ نـبـدـأـ يـوـمـاـ كـلـ صـبـاحـ بـقـائـمـةـ مـنـ الـأـدـعـيـةـ الـتـيـ تـعـبـرـ عـنـ الشـكـ وـالـعـرـفـانـ لـلـهـ عـزـ وـجـلـ بـأـنـاـ مـوـجـودـوـنـ هـنـاـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ، وـبـأـنـ لـدـنـاـ عـائـلـةـ وـأـصـحـابـ يـحـبـونـاـ وـنـحـبـهـمـ، وـبـأـنـاـ عـلـىـ وـشـكـ أـنـ نـبـدـأـ يـوـمـاـ مـلـيـاـ بـالـإـمـكـانـيـاتـ وـالـاحـتمـالـاتـ، وـعـبـرـ سـلـوكـيـاتـاـنـاـ الـتـيـ تـعـبـرـ عـنـ مـحـبـتـنـاـ وـإـحـسـانـتـنـاـ فـإـنـاـ نـسـمـحـ لـلـحـضـورـ الـإـلـهـيـ بـالـعـبـورـ مـنـ خـلـالـنـاـ إـلـىـ حـيـاةـ الـآـخـرـينـ. بـالـتـالـيـ فـإـنـ الـفـرـحـ يـسـاعـدـنـاـ كـثـيرـاـ عـلـىـ شـفـاءـ الـمـجـرـوـحـيـنـ وـالـمـهـمـومـيـنـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ.

1. William Wordsworth, “Lines Composed a Few Miles above Tintern Abbey, on Revisiting the Banks of the Wye during a Tour, July 13, 1798.”
2. Aristotle, *Nicomachean Ethics*, 1097a 30–34.
3. Robert Louis Stevenson, “The Lantern-Bearers,” in *The Lantern-Bearers and Other Essays* (New York: Cooper Square Press, 1999).
4. Søren Kierkegaard, *Journals and Papers*, 2179.



## حـوـلـ مـائـدـةـ يـوـمـ السـبـتـ الـمـقـدـسـ: أـسـئـلـةـ لـلـتـأـمـلـ

1- ما هو الفرق بين السعادة والفرح؟

2- باعتقادك هل البشر توازنون أكثر للوصول إلى حالة من الفرح أم إلى حالة من السعادة؟

3- كيف بإمكانك أن تصلك لحالة من الفرح في حياتك؟

- These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/reeh/the-deep-power-of-joy/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*



التأثير العميق لِلفرح

[RABBISACKS.ORG](https://www.rabbisacks.org)